مقتطفات من كتاب

عبقرية عمر

عباس العقاد



إليك لأنك تعرف لماذا!!!؟

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)
https://cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com

وعمر يعد رجل المناسبة الحاضرة في العصر الذي نحن فيه(1)؛ لأنه العصر الذي شاعت فيه عبادة القوة الطاغية وزعم الهاتفون بدينها أن البأس والحق نقيضان. فإذا فهمنا عظيمًا واحدًا كعمر بن الخطاب فقد هدمنا دين القوة الطاغية من أساسه؛ لأننا سنفهم رجلًا كان غاية في البأس وغاية في العدل وغاية في الرحمة.. وفي هذا الفهم ترياق من داء العصر يشفى به من ليس بميئوس الشفاء.

وإنه لجهاد جديد لعمر بن الخطاب، يطيب لنا أن نوجزه في كتاب.

وكتابي هذا ليس بسيرة لعمر ولا بتاريخ لعصره على نمط التواريخ التي تقصد بها الحوادث والأنباء، ولكنه وصف له ودراسة لأطواره ودلالة على خصائص عظمته واستفادة من هذه الخصائص لعلم النفس وعلم الأخلاق وحقائق الحياة، فلا قيمة للحادث التاريخي جل أو دق إلا من حيث أفاد في هذه الدراسة، ولا يمنعني صغر الحادث أن أقدمه بالاهتمام والتنويه على أضخم الحوادث، إن كان أوفى تعريفًا بعمر وأصدق دلالة عليه.

«... لم أر عبقريًا يفري فريه(1)..»

كلمة قالها النبي ﷺ في عمر رضي الله عنه، وهي كلمة لا يقولها إلا عظيم عظماء، خلق لسياسة الأمم وقيادة الرجال.

فمن علامات العظمة التي تحيي موات الأمم أن تختص بقدرتين لا تعهدان في غيرها: أولاهما أن تبتعث كوامن الحياة ودوافع العمل في الأمة بأسرها وفي رجالها الصالحين لخدمتها، والأخرى أن تنفذ ببصيرتها إلى أعماق النفوس فتعرف بالبديهة الصائبة والوحي الصادق فيم تكون عظمة العظيم، ولأي المواقف يصلح، وبأي الأعمال يضطلع، ومتى يحين أوانه وتجب ندبته(2)، ومتى ينبغي التريث في أمره إلى حين.

هؤلاء رجال يعرفهم صاحبهم، وهذه مواقف يعرفها صاحبها، وهذه مسألة فصل فيها الزمن ولم يبق لنا نحن الذين نعود إليها ونستخلص عبرتها إلا أن نراقب ما فيها من آيات الإعجاز وسوابق النظر البعيد.

ما وضع أبو بكر خيرًا من موضعه وهو يلي الإسلام والخطر من داخل أهله، والطب الذي يطبهم به هو طب التآلف والإحجام عن السطوة ما كان إلى الإحجام عنها سبيل.

مفتاح الشخصية هو الأداة الصغيرة التي تفتح لنا أبوابها، وتنفذ بنا وراء أسوارها وجدرانها، وهو كمفتاح البيت في كثير من المشابه والأغراض، فيكون البيت كالحصن المغلق ما لم تكن معك هذه الأداة الصغيرة التي قد تحملها في أصغر جيب، فإذا عالجته بها فلا حصن ولا إغلاق!

وليس مفتاح البيت وصفًا له ولا تمثيلا لشكله واتساعه، وكذلك مفتاح الشخصية ليس بوصف لها ولا بتمثيل لخصائصها ومزاياها، ولكنه أداة تنفذ بك إلى دخائلها ولا تزيد.

وربما غضب على الوالي من كبار الولاة لغلوه في تقاضي الحدود على المعاصي كما فعل في إنذاره الشديد لأبي موسى الأشعري حين جلد شاربًا وحلق شعره وسود وجهه ونادى في الناس ألا يجالسوه ولا يؤاكلوه. فأعطى الشاكي مائتي درهم وكتب إلى أبي موسى: «لئن عدت لأسودن وجهك ولأطوفن بك في الناس» وأمره أن يدعو المسلمين إلى مجالسته ومؤاكلته وأن يمهله ليتوب ويقبل شهادته إن تاب.

وتفقد رجلًا يعرفه فقيل له إنه يتابع الشراب. فكتب إليه «إني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ(1) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝٣﴾ [غافر].

فلم يزل الرجل يرددها ويبكي حتى صحت توبته وأحسن النزع(2)، وبلغت توبته عمر فقال لمن حضروا مجلسه: «هكذا فاصنعوا. إذا رأيتم أخًا لكم زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه».

وروى يحيى بن سعيد أن عمر سأل رجلًا: ما اسمك؟ قال: جمرة! فسأله: ابن من؟ قال: ابن شهاب. فسأله: ممن؟ قال: من الحرقة. وعاد يسأله: ثم ممن؟ قال: من بني ضرام. وهكذا في أسئلة ثلاثة أو أربعة عن مسكنه وموقعه، والرجل يجيب بما فيه معنى النار ومرادفاتها حتى استوفاه. فقال عمر: أدرك أهلك فقد احترقوا.

والـذي نـراه أن «طبيعـة الجندي» في صفتهـا المثلى هي أصـدق مفتاح «للشخصية العمرية» في جملة ما يؤثر أو يروى عن هذا الرجل العظيم.

فأهـم الخصائـص التـي تتجمـع «لطبيعـة الجنـدي» في صفتهـا المثـلى الشـجاعة والحـزم والصراحة والخشـونة والغـيرة على الـشرف والنجدة والنخـوة والنظام والطاعة وتقدير الواجب والإيمان بالحق وحب الإنجاز في حدود التبعات أو المسئوليات.

لا تؤمن جريرتها.

كان يومًا[1] في مجلس عمر وزياد بن سمية[2] يتكلم وهو يومئذ شاب، فأحسن كعادته في مجال الخطابة والمشورة، فأعجب به عمر، وهتف به: لله هذا الغلام! لو كان قرشيًّا لساق العرب بعصاه.

ومما لا شك فيه أن عمر كان مقتربًا من الإسلام يوم رثى لأم عبدالله بنت حنتمة وتركها تنطلق إلى الهجرة وهو يدعو لها بالسلامة. وكانت هي على صواب حين طمعت في إسلامه ورجالها يائسون منه. فقد سألها عامر ابن ربيعة مستغربًا مستبعدًا: كأنك قد طمعت في إسلام عمر؟ قالت: نعم. قال: إنه لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب!

فطبيعـة الجنـدي في الفاروق تامـة متكاملة بأصولهـا وفروعها. ويندر أن تتـم طبيعة شـاملة في رجل واحـد إلا أن يكون كعمـر في أصالة الطبع وصراحتـه وخلوصـه واتسـاقه، فلا يخذل منه جـزء جـزءًا، ولا تقبل منه وجهـة حيث تدبر أخـرى، وحينئذ لا عجب أن تتم له طبيعة واحدة بالغة مـا بلغـت من تعـدد العنـاصر والألـوان والشيات. كما أنـه لا عجب أن يشبه الولد أباه؛ لأنه أصيل صريح النسـب، بالغًا ما بلغ التعدد في مشابه الأخلاق والجوارح والأعمال.

إسلام صريح قويم فهو إسلام عمر بن الخطاب.

قـال في بعض عظاته: «لا تنظروا إلى صيـام أحد ولا إلى صلاته، ولكن انظـروا مـن إذا حـدَّث صـدق، وإذا ائتُمِـن أدى، وإذا أشـفى - أي همَّ بالمعصية - ورع».

وقـال في هذا المعنـى: «لا يعجبنكم مـن الرجل طنطنتـه، ولكن.. من أدى الأمانة إلى من ائتمنه، وسلم الناس من يده ولسانه».

وكان يـضرب من يتـماوت ويسـتكين ليظهر التخشـع في الدين، فنظر إلى رجل مظهر للنسـك متماوت فخفقه بالدرة وقـال: «لا تمت علينا ديننا أماتك الله»، وأشـاروا له إلى رجل يصوم الدهر فضربه وهو يقول له: كل يا دهر! كل يا دهر!.. ينهاه عن الصوم الذي يعوقه عن معاشه ولا يوجبه عليه الدين.

وكان كلما رأى شـابًّا منكسًا رأسه صاح به: «ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيـد على ما في القلب، فمن أظهر للناس خشـوعًا فوق ما في قلبه فإنما أظهر للناس نفاقًا إلى نفاق».

وكان هـذا الرجـل يحـب ويكـره كـما يحب النـاس ويكرهـون، ولكن لا ينفعـك عنـده أن يحبـك ولا يضيرك عنـده أن يكرهـك إذا وجب الحق ووضـح القضاء. قال يومًا لأبي مريم السـلولي قاتـل أخيه: والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم المسـفوح! فقال له أبو مريم: أتمنعني لذلك حقًّا؟! قال: لا. قال: لا ضير! إنما يأسى على الحب النساء.

وحسـبك من إسـلام يحمي الرجل من خليفة يبغضـه وهو قادر عليه، فذلك المسلم الشديد في دينه، والذي يشتد فيأمنه العدو والصديق.

عدل عمر نخسره، لأنه كان يقضي فيه بغير «استمارة» مدموغة بنص عليها قانون المرافعات! أو لأنه كان يقضي فيه على غير «الإجراءات العصرية» في مواجهة الحقوق الشخصية! أو لأنه كان يقضي فيه قضاء يختلف الفقهاء في عنوانه وفي الرف الذي يضعونه عليه بين رفوف الأضابير!

يا لها من حماقة تخجل العصر الحديث! تخجله وهو واقف بين العصور يتطاول عليها بتسخيف الحماقات وإدحاض الخرافات.

ولهذا كان عمر يتصاغر على قدر ما يراه من بواعث الكبرياء، لا على قدر ما يراه من بواعث الصغر، فأبى أن يركب البرذون[1] وهو يغالب عزة الفتح داخلًا إلى الشام دخول المنتصر، وقيل له في ذلك فصاح بهم: خلوا سبيل جملي! إنما الأمر من هاهنا، وأشار إلى السماء!

وأبو جندل يصيح: يا معشر المسلمين، أأرد إلى المشركين يفتنونني في ديني؟ فواساه النبي ودعاه إلى الصبر والاحتساب[3]، ووثب عمر إليه يمشي إلى جنبه ويدني منه قائم السيف ويقول له: اصبر يا أبا جندل فإنما هم المشركون، وإنما دم أحدهم دم كلب. ورجا -كما قال بعد ذلك- أن يأخذ أبو جندل سيفه فيضرب به أباه... قال: ولكن الرجل ضن بأبيه ونفذت القضية.



دخـل زيـاد على عثـمان في خلافته بما بقي عنـده لبيت المـال، فجاء ابن لعثمان فأخذ شيئًا من فضة ومضى به، فبكى زياد.. قال عثمان: ما يبكيك؟ قـال: أتيت أمير المؤمنين[1] بمثل ما أتيتك به فجاء ابن له فأخذ درهمًا فأمر بـه أن ينتزع منه حتى أبكـى الغلام. وإن ابنك هذا جاء فأخذ ما أخذ، فلم أر أحـدًا قال له شـيئًا.. قال عثمان: «إن عمـر كان يمنع أهله وقرابته ابتغاء وجه الله، وإني أعطي أهلي وأقربائي ابتغاء وجه الله ولن تلقى مثل عمر لن تلقى مثل عمر لن تلقى مثل عمر!».

به».

«رحم الله أبا سليمان، كان على غير ما ظنناه به».

وقد كان عمر ينهى عن الندب والعويل، فلما مات خالد واجتمع بنات عمه يبكينه وسئل عمر أن ينهاهن قال: «دعهن يبكين على أبي سليمان، ما لم يكن نقع أو لقلقة، على مثله تبكي البواكي».

فأي كلمة أدل على النفس البشرية من قوله: «ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر، ولكنه الذي يعرف خير الشرين»؟

وهو ... وقد كان شاركهم في هذه المؤامرة يهودي مغلوب تظاهر بالإسلام وهو المسمى بكعب الأحبار.. ولعله أراد أن يكسب سمعة العلم بالأسرار من علمه بالمؤامرة، فذهب إلى عمر قبل ثلاثة أيام من مقتله ينذره أن يختار ولي عهده لأنه ميت في ثلاثة أيام.. فسأله عمر: وما يدريك؟ قال: أجده في كتاب الله التوراة. فلم تجز هذه الدعوى على عمر وعاد يسأله: «الله! إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟». فأشفق الرجل أن ينكشف دجله وقال: بل أجد صفتك وحيلتك وأنه قد فني أجلك ثم كرر له النذير مرتين في اليومين التاليين.



سبحانك اللهم وبحمدك
نشهد أن لا إله إلا أنت
نستغفرك ونتوب إليك

إلى لقاء مع ملخص لكتاب جديد

حسابات حدوتة كتاب

للاندرويد
https://play.google.com/store/apps/details?id=com.BookHdotah

للكمبيوتر والايفون
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/Book_show_simple.php

يوتيوب
https://www.youtube.com/channel/UCTG5AYoNunvwpHnPEybZxRg

فيسبوك
https://www.facebook.com/hdoott

واتساب
https://chat.whatsapp.com/GRX8q4psOOVEsaVTvcYLeD

تلجرام
https://t.me/Book_hadotah

شاركونا كتبكم على هذا الرابط
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/coments_form.php

او في قسم (شاركنا كتاب) بقائمة التطبيق

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)

www.cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com
+201001490077 - +96890968355

حدوتة كتاب